أسلوب المدح لدى الأندلسيين

د۔ راحیلہ خالد قریشی*
غلام سکینہ**

ABSTRACT

(Madhah) or praise has always been a very important and common topic of the poets in the literature of every nation. So the Arabs also exercised this topic and produced valuable poetry related to this topic from early time period of Jahiliyah or(pre Islam). Arabs in Pre Islam period were very much interested in poetry and also had complete skill in it. This Art travelled from generation to next generation.

In Muslim Spain (Andalus) when Arabs conquerors stepped on its earth. They were very much inspired by the beauty of Nature. Colorful flowers, green gardens, streams of silvery white water, grand buildings and more over white skin of its native people (men & women) blue eyes, beautiful reddish hair of its women motivated them to narrate all this beauty in their poetry.

Another factor to produce a big share of praise in poetry was their system of tribal life. There were many different tribes of Arabs in Muslim Spain which went there accompanied with conquerors. poets were proud of their fellow tribes and praised its people, especially , of those who had some remarkable or designation of worth importance in the state.

In the following article, detail discussion about the poetry in praise (Madhah) is made and references related to that type of poetry are also presented. However, it is initial work and it is recommended to researchers to study this poetry in the light of the Arabic poetry in east (Abbaside or Ummayad destiny itself).

* الاستاذة المشاركة بقسم اللغة العربية الجامعة الاسلامية بهاولبور
** الباحثة بمرحلة الدكتوراه

فطرى أن ينال شعراء المديح فى الظهور منذ تشكيل عبدالرحمن الداخل للدولة الأموية بقرطبة، وهم يأخذون فى التكاثر منذ عهد عبدالرحمن (٢٠٦-٢٣٨هـ) كما مر بنا، ويخلفه، إبنه محمد ويظل من عاش فى عصره من الشعراء يطبع القصائد فى مديحه مثل مؤمن بن سعيد وطاهر بن حزم وربما كان أهم مداحه عباس (١) - بن فرناس ويقال إنه، مدح أباه عبدالرحمن وجده الحكم، وينوه ابن حيان بإبداعه فى الفلسفة، وفنون التعاليم القديمة والحديثة وحذقه للموسيقى والضرب على العود وصوغه للألحان، وله فى تهنئة الأمير محمد عند رجوعه وظفر اسنة ٢٥٩ من قرية الكبرى لأهل بنبلونة فى نبارة بأقصى الشمال قصيدة بديعة، وكان رجوعه قفوله منها بعيد الفطر مما جعله يقول:

إن القفول الذى أؤفى بعيدين	مكرمين على الدينا عزيزين
قدوم أكرم من فى الأرض قاطبة	قدوم فطر فكانا خير عيدين (٢)

وممدح البيت الأموى الجدير بكل مديح وثناء عبدالرحمن الناصر الذى أعلن نفسه خليفة سنة ٣١٦ وقد ظل حكمه بيده خمسين سنة، كانت قرطبة فيها عاصمة الحضارة والثقافة فى اوربا، وصارت إلى الأندلس وحدتها التى تفككت فى عهد جده عبدالله، ودان حكام نبارة وقشتالة وبرشلونة وليون له بالولائ، ومر بنا حديث ابن حيان عن كثرت الشعراء فى زمنه، وكانت غزواته طوال حكمه متصلة فاتصل مديح شعرائه جميعاً بها وفى مقدمتهم ابن عبدربه وسنفرده بكلمة، وبالمثل اتصل بها مديح عبيدالله بن يحيى بن ادريس وله يقول فى مدحة ميمية:

يهنا الخلافة سعيى خير إمام	الله مسعاه وللإسلام
لِيعِزَّ دين الله فى كنف العلاءِ	ويذبَّ عن حرم الهدى ويُحامى
مستجزأ وعد الإله بنصره	فى شيعة الإشراك والإجرامِ (٣)

وكان الناصر قد غز انصارى الشمال فى شهر رمضان اَدّى عيد الفطر فى بلاد العدو فلم ينكل ولم يتراجع بن هَلكَ كما يقول ابن حيان- للقاء العدو ومزق جموعه تمزيقا- ولا بن إدريس يذكر زيادته فى جامع قرطبة وبناء ه لمدينة الزهراء بجوارها:

سَيَشهَدُ ما شيَّدت أنك لم تكن	مضيعاً وقد مكّنتَ للدين والدُّنيا
فبالجامع المعمور للعلم والتَقى	وبالزَّهرة الزَّهراء للملك والعلياء
اليوم عاش الدّينُ وابتدأ الهُدى	غَضَّا وعاد الملك عذب المورِدِ
لنا حاحب حاز المعالى بأسرها	فأصبح فى أخلاقه واحد الخلق (٤)

وعاصر عبادة زمن الفتنة بقرطبة (٣٩٩/٤٢٢هـ) حتى إذا استولى على مقاليد الخلافة على بن حمود العلوى من أدراسة المغرب سنة ٤٠٧هـ فجد عبادة يقدم له مدائحه حامياً له بمثل قوله:

أطاعتك القلوب ومن عصى	وحزب الله حزبك يا على
وإن قال الفخور أبى فلان	فحسبك أن تقول أبى النبىّ (٥)

وهو يقول إن ولاءه لآل البيت عريق ويمضي فيذكر أن جده كان موالياً لعلي مما جعل معاوية يبغضه بغضاً شديداً. وكان ابن الحناط الكفيف القرطبي يتشيع مثله للحموديين وله مدائح متعددة فيهم وخاصة في علي بن حمود وفيه يقول: (٦)

إمام أقام الدِّين حَدُّ حسامِه	طريراً ومنه في يد الله قائم
وكأن الشمس لما أشرقت	فأنثنت عنها عيون الناظرين
علي بن حمود أمير المؤمنين	كتب الجود على أبوابه
انظرونا نقتبس من نوركم	إنه من نور رب العالمين
وكان ابن مقانا بدأ إنشاد ادريس (٧)	

هذه القصيدة وهو محتجب على عادته، قوله:

بني جهور أحرقتم بجفائكم	جناني فما بأل المدائح تَعبِقُ
تظنونني كالعَنبر الورد إنما	تطيب لكم أنفاسه وهو يُحرَقُ (٨)

ومنهم الشاعر ابن اللبانة، وسنترجم له في الفصل التالي، ومن قصيدة له في مديح المعتمد (٩)

ملك إذ عقد المغافر للَوغى	حَلّ الملوكُ معاقدَ التيجانِ
وإذ عدت راياته منشورةً	فالخافقانِ لهن في خَفَقانِ (١٠)

وكان يوسف بن تاشفين المرابطون ينسبون أنفسهم إلى العرب في حمير وكان بنو عُباد من قبيلة لخم اليمنية، وذكر ذلك عبد الجليل بن وهبون في قصيدة يهنئ فيها يوسف بن تاشفين والمعتمد بهذا النصر المبين منشدا:

نمى في حِمَيرٍ ونمتك لَخَم	وتلك وشائج فيها التحامُ (١١)
فيوسفُ يوسفٌ إذ أنت منه	كيامِنَ، لا وَهَى لكما نظامُ
وَابلَجَ منصورِ اللِّواء إذا سرى	أظلّت عقاب النصر أجنحة النسر (١٢)

ولابن خفاجة قصيدة بديعة في مديح زوجة تميم مريم، وكانت سيدة أدبية فاضلة تحفظ جملة وافرة من الشعر، وكانت لها ندوة تهاضر به فيها وتستمع إلى الشعراء وتشيبهم على أشعارهم، وفيها يقول ابن خفاجة:

مشهورة في الفضل قِدماً والنهى	والجود شهرة غُرَّةٍ في أدهمِ
تولي الأيادي عن يدٍ نَزَلِ الندى	منها بمنزلةِ المحب المكرمِ (١٣)

ولمحمد بن إبراهيم بن المواعين المار ذكره بين البلاغيين في الفصل الماضي مدحة في الزبير بن عمر الملثم والي قرطبة يقول في تضاعيفها مخاطبا الملثمين أو المرابطين:

جُولوا وصولوا فالمناسب حِميَر	أهلُ المفاخر والنَّدَى والنادي
للقوم في كل البلاد رياسة	تحكي بني العباس في بَغدادِ (١٤)

والصورة في البيت الأخير بديعة، ولليكي يحيى بن سهل هجَّاء الأندلس في المرابطين معللا لتسميتهم بالملثمين بالغابهم الغاية من المديح:

قوم لهم شرف العلا في حمير	وإذا انتموا صنها جة فهم هم (١٥)

يحيى بن بقي وعيسى بن وكيل الغرناطي و محمد بن سوار الأشبوني المترجم له بين شعراء الرثائ، وكان قد خلصه من أسره عند النصارى بفدية كبيرة فأكثر من مديحه بمثل قوله:

لو أن رفقك في القلوب مركب	لم يلتقم في البحر يونس حوت
ولقد حملت من الوقار سكينة	لم يحتملها قبلك التابوت (١٦)

وكان المتفلسف الشاعر أبو عامر محمد بن الحمارة حاضرا ولم يكن أعد شيا ففكر قليلا، ثم أنشد:

يا أوحد الناس قد شيدت واحدةً	فحل فيها حلول الشمس في الحمل
فما كدارك في الدنيا لذي أمل	ولا كدارك في الأخرى لذي عمل (١٧)

ومر بنا في ترجمة يحيى بن بقي بين الوشاحيين أنه خص القاضي أحمد وأخاه يحيى بدود كثيرة من موشحاته واشعاره بينما كانا يواليان إغداق نوالهما عليه، مما جعل لسانه بلهج بمديحهما والثناء عليهما طويلا، من مثل قوله في يحيى من مدحة طويلة: (١٨)

ندب عليه من الوقار سكينة	فيها حفيظة كل ليث مُخدر (١٩)
اقبلت مرتاداً لجودك إنه	صوب الغمامة بل زلال الكوثر (٢٠)

وأبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد الغرناطي، وأنشده مدحة يقول في تضاعيفها:

دعانا نحو وجهك طيب ذِكرٍ	ويدعو للرياض شذا الرياح
وكنت كساهر ليلا طويلا	ترنح حين بشر بالصباح (٢١)

وقد تغنى به الشعرائ، ومن أروع قصائدهم في موقعة الزلاقة قصيدة على بن حزمون المرسي من وزن المتدارك ويستهلها بقوله مخاطبا المنصور۔

حيتك معطرة النفس	نفحات الفتح بأندلسِ
فذر الكفار ومأتمهم	إن الإسلام لفي عُرُسِ (٢٢)

يقول ابن سعيد: "كأن من عجائب الدهر في الفروسية واللإقدام والسعادة في لقاء العدو، ويفهم الشعر ويكثر مطالعة التاريخ، أنشدته قصيدة أولها:

لمثلك تنقادُ الجيوش الجحافِلُ	وَتذخر أبناءُ القنا والقنابل (٢٣)

أبو العلاءِ محمد بن سماك العاملي منشدا۔

فتح قضاء لملكك الرحمن	لمأت قط بمثله الأزمانُ
فلأيَّ يوم سعادةٍ أولاكه	ذلت بعزة نصرِه الصُلبانُ (٢٤)

والقطعة عجيبة ولابن جزي الغرناطي مؤلف رحلة أبن بطوطة مدحة عجيبة في أبي الحجاج من مثل قوله: (٢٥)

إن المعالىَ والعوالىَ والنَدى	والبأس طوع يدي أبي الحجاج (٢٦)

واتخذه كاتب سره، وتستغرق ديوانه مدائحه فيه، حتى لتبلغ نحو مائة قصيدة ومقطوعة، إذلم يترك مناسبة شخصية أو اجتماعية أو سياسية أو حربية إلا ونظم للسلطان فيها مدحة طنانة، ومن قوله فيه حينى تقلد السلطة:

إليک تباشيرُ البشائر مُقبله	تلوح بآفاق الحدى متهلّله
فهُنّئت ما استقبلتَ يا ملکَ الهدى	من العزّ لا زالت سعودک مقبله (٢٧)

الشعراء المديح في الأندلس

ابن عبد ربه الأندلسي (٢٨)

٢٤٦هـ - ٣٢٨هـ

نشأته وحياته:

هو أبو عمر أحمد بن محمد عبد ربه الأموى بالولاء، لأن جده كان مولى لهشام بن عبدالرحمن الداخل ثانى خلفاء الأمويين بالأندلس، ولد هذا الكاتب الشاعر بقرطبة ونشأبها، ثم تخرج على العلماء الأندلس وأدبائها وأمتاز واسعة الإطلاع في العلم والرواية، وطول الباع في الشعر والكتابة۔ (٢٩)

شعره:

أكثر شعر ابن عبد ربه وأجمله في الوصف والغزل۔ وهو أشبه بشعر ابن زيدون في النجمع بين روعة الشرقيين وجزالتهم، ورقة الغربيين وسلاستهم۔ وهو أكثر ترديداً لأخبار المشارقة واصح تقليداً لأشعارهم۔ وابن عبد ربه من الشعراء المكثرين فقد رأى الحميدى من شعره عشرين جزأاً من جملة ما جمع للحكم بن عبدالرحمن الناصر أكثرها بخطه۔ وقد زين كتابه العقد الفريد بكثير منه في كل معنى۔ وقال في مقدمة: وحليت كل كتاب منها غرائب من شعرى ليعلم الناظر في كتابنا هذا أن لمغربنا على قاصية، وبلدنا على أنقطاعة حظا من المنظوم والمنشور۔ (٣٠)

نموذج من شعره:

بالمنذر بن محمد	شَرَفُت بلادُ الأندلس (٣١)
فالطيرُ فيها ساكن	والوحشُ فيها قدائنس

وتوفي المنذر وخلفه أخوه عبدالله (٢٧٥هـ-٣٠٠هـ) ويمدحه لأول استيلائه على صولجان الحكم بقصيدة قافية يقول فيها:

إذا فُتحت جنّات عدنٍ وأُزلفت	فأنت بها للأنبياء رفيق (٣٢)

قوله من مدحه عبدالرحمن الناصر:

في غزوة مائتا حصن ظفرت بها	في كل حصن غواةٌ للعناجيج
ما كان ملک سليمان ليدركها	والمُبتَنِي سَدّياً جوج ومأجوج (٣٣)

ومن خير ماله في الغزل قوله:

الجسم في بلدٍ والروح في بلد	يا وحشة الروح بل يا غربة الجسدِ
إن تبک عيانک لي يا من كلفت به	من رحمةٍ فهما سهماک في كبدي (٣٤)

ابن زيدون (٣٥)

١٠٠٤م-١٠٧٠م ٣٩٤هـ-٤٦٢هـ

نشاته وحياته:

ولد ابو الوليد أحمد بن عبدالله بن زيدون بقرطبة (٣٦) سنة ٣٩٤هـ- وكان أبو من وجوه الفقهاء (٣٧) وعيون الأدباء، فدرس عليه وعلى غيره الأدب والعلوم- ورزق في الإنشاء قريحة طبعة وطبعاً سليماً، وسمت به كفاية ومكانة إلى أن وزر لأبي الحزم بن جهور أحد ملوك الطوائف بالأندلس، فاشتهر أمره وارتفع قدره- وألفى إليه مقاليد الأمور فدبرها وساسها بحزق وكياسة- وكثيراً ما سفر بين مولاه وملوك الأندلس فأحسن السفارة وفض المشكل- ثم دبت بينهما عقارب السعاية- فنقم عليه ابن جهور وسجنه- ولم يشفع له سالف خدمته ولا سابق حرمة- وتوفي بإشبيلية عام ٤٦٣(٣٨) ولهما مطارحات ومجالس محفوظة- (٣٩)

نثره:

وهذا كله يرينا أن حياة ابن زيدون كانت مليئة بمتاعب ومصاعب جمة، ومع ذلك فهو يوضع على رأس شعراء وكتاب عصر، ملوك الطوائف، يقول صاحب الذخيرة فيه: "كان أبو الوليد بن زيدون غاية منثور ومنظوم-

نموذج من نثره:

يامولاى وسيدى الذى ودادى له، واعتمادى عليه، واعتدادى به، وامتدادى منه، أبقاك الله ماضى حدَّ العزم وارى زند الأمل، ثابت عهد النعمة، إن سلبتنى- أعزك الله- لباس نعمائك، وعطَّلتنى من حلى إيناسك وأظمِئتنى إلى برود إسعافك، ونفضت بى كفَّ حياطتك، وغفضت عنى طرَف حمايتك، بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلى لك، وسمع الأصم ثنائى عليك- (٤٠) واهسن الجماد باستحمادى إليك- فلا عز و قد يَغَصُّ بالماء شاربه، ويقتل الدواء المستشفى به، ويؤتى الحذر من مأمنه (٤١)، وتكون منية المتمنى فى أمنية- والحينُ قديسق جهد الحريص: (٤٢)

كل مصائب قد تمرُّ على الفتى	وتهون غير شماتة الحسّادِ (٤٣)

نموذج من كلامه:

قال مخاطباً بنى جهور:

بنى جهور أحرقتم بجفائكم	فؤادى فما بال المدائح تعبق
تعدوننى كالعنبر الورد إنما	تفوح لكم أنفاسه وهو يحرق (٤٤)

فالتحق بالمعتضد بن عباد أمير إشبيلية، فاتخذه وزيراً له وأجزل له فى الراتب والعطائ، وفيه يقول ابن زيدون فى إحدى مدائحه:

همام يزين الدهر منه وأهله	مليك فقيه كاتب متفلسف
يتيه بمرقاهُ سرير ومنبر	ويحمد مسعاه حسام ومُصحَف
جحيم لعاصيهُ يشب وقودُه	وَجنَّة عَدنٍ للمطعين تزلف (٤٥)

ابن خفاجة (٤٦)

٤٥٠هـ-٥٣٣هـ

نشأته وحياته:

هو أبو اسحاق إبراهيم بن أبى الفتح عبدالله بن خفاجة الهوارى الشقرى، ولد فى جزيرة شقر (٤٧) وهى بليدة بين شاطبة وبلنسية- سنة ٤٥٠ (٤٨) فى أسرة على جانب من اليسار وعلى قسطٍ من العلم والأدب- بدأعلمه فى بلده ثم تردَّدَ بين مُرسية وشاطبة فسمع من القاضى أبى على انصدفى (ت ٥١٤هـ) والفقيه أبى عمران موسى بن تليد الشاطبى (ت٥١٧هـ) وأبى بكر بن عتيق بن أسد (٥٣٨هـ) لها ابن خفاجة فى مطلع حياته ثم ترك اللهو والمجون، وعاش صرورةً (لم يتزوج) وقضى معظم هياته فى ضيعة له قرب بلدةٍ ينظم الشعر فى أعراض نفسه ولم يقصد أحداً من ملوكِ الطوائف- ولكن بعد أن استولى المرابطون على معظم جزيرة الأندلس - وأزالوا معظم ملوك الطوائف، اتصل ابن خفاجة- وكان قد بلغ اشده- وذاعت شُهرته- بولاة المرابطين على الأندلس وَمدَحُهُم إعجاباً لا تكسباً- وكانت له فى أيامهم حظوة أما وفاته فكانت فى ٢٦ من شوال من سنة ٥٣٣ (١١٣٩/٦/٢٥م) فى بلدته (٤٩)-

شعره:

ابن خفاجة شاعر الطبيعة ومصورها- قد امتلأت نفسه وعنيه فى جمال الحياة وجمال الطبيعة، فراح يبرز هذا الجمال المعنوى فى صور مختلفة من الجمال اللفتطى، فانتقى الأساليب الصافية-

نموذج من شعره:

ومن قوله فى وصف روض صباحاً:

وكِمامةٍ حَدَرَ الصباحُ قناعها	عن صفحةٍ تندى من الأزهار (٥٠)
فى أبطحٍ رضعت ثغور آقاحه	أخلاف كل غمامةٍ مدرارٍ (٥١)

من المقطعات القصائد لابن خفاجة:

إن للجنة بالأندلس	مجتلى حسنٍ وريَّا نفس (٥٢)
تخب بهم قب يطيل صهيلها	بأرض أعاديهم نياح النوادب (٥٣)

وديوانه مفتتح بمدحه بديعة فيه استهلها بوصف الطبيعة والغزل وفيها ويقول-

وأبلج منصور اللواء إذا سرى	أظلت عقاب النصر اجنحة
له فتكة لو راحم الدهر تحتها	لُعدت به دُهم السيالى من الشفر (٥٤)

ولابن خفاجة قصيدة بديعة فى مديح زوجة تميم مريم وفيها يقول:

مشهودة فى الفضل قدما والنهى	والجود شهرة عزةٍ فى أدهمِ
تولى الأيادى عن يد نزل الندى	منها بمنزلة المحب المكرمِ (٥٥)

ولمحمد بن إبراهيم بن المواعيني المار ذكره بين البلاغين في الفصل الماضي مدحة في الزبير بن عمر الملثم والي قرطبة يقول في تضاعيفها مخاطبا الملثمين أو المرابطين (٥٦)۔

أضحت مجالسهم سروج جيادهم	إن السروج مجالس الأمجاد (٥٧)

ابن دراج (٥٨)

٩٥٨م-١٠٠٢م ٣٤٧ھ-٣٩٢ھ

نشأته وحياته:

هو أبو عمر أحمد بن محمد بن درَّاج ولد سنة ٣٤٧ في بيت من بيوت قبيلة منهاجة المغربية بمدينة من أعمال جيَّان تسمى قسطلة درَّاج۔ وفي نسبتها إلى جده ما يدل على عراقه أسراته، وألحقه ابوه منذ نعومة أظافره بكتاب حفظ فيه القرآن وبعض الأشعار على عادة لداته، حتى إذا اتم حفظ القرآن انتقل إلى حلقات الشيوخ بجيَّان فاتسعت ثقافة اللغوية والأدبية ويبدو أن ملكة الشعرية تفتحت مبركة۔ وأخذ ينظم الشعر حتى عرف بين الشعراء بلدته، ولم يلبث أن تزوج وأنجبت له امرأته بنتا وطمحت نفسه إلى الشهرة، فرأى أن يرحل إلى قرطبة محاكياً بذالک بعض شعراء جيان ممن سبقوه إليها ونالوا فيها غير قليل من الشهرة مثل الغزال يحيى بن حكم شاعر الأمير عبدالرحمن الأوسط وأحمد بن فرج الجيانى صاحب كتاب الحدائق شاعر الحكم المستنصر (٥٩)۔

نموذج من شعره:

ولما تدانت للوداع وقد هَفَا	بصبرِیَ منها أنَّة وزفيرُ
تناشد في عهد المودة والهوى	وفي المَهد مبغومُ النَّداءِ صغيرُ (٦٠)
ألا هكذا فليسم للمجد مَن سَما	ويَحمي ذِمار الملک والدين من حَمَى (٦١)
فهذا عظيم الشَّرک قد جاء خاضعا	وألقى بكَّفيه إليک محكما

ويقول فيه وفي حجابية عُبادة بن ماء السماء:

لنا حاجب حاز المعالي بأسرها	فأصبح في اخلاقِهِ واحد الخلقِ
فلا يغتر منه الجهول ببشره	فمعظم هول الرَّعدِ في أثر البرقِ (٦٢)

ابن هانى الأندلسى (٦٣)

٩٣٨م-٩٧٤م-٣٢٦ھ-٣٦٣ھ

نشأته وحياته:

ابن هانى الأندلسى أو أبو القاسم محمد بن هانى سعدون الإزدى الأندلسى (يتصل نسبه بالمهلب بن أبى صفرة)، القلب بمتنبى الغرب لأنه كان أشعر شعراء المغرب العربى على الإطلاق (وهو معاصر للمتنبى)، هو شاعر أندلسى (ولد أبوه هانى، بقرية من قرى المهدية بإفريقية (تونس حاليا) وكان شاعرا أديباً فانتقل إلى

الأندلس)۔ ولد ابن هانی بإشبيلية ونشأبها وتعلم بها الشعر والأدب، واتصل بصاحب إشبيلية وحظی عنده۔ واتهمه أهلها بمذهب الفلاسفة وفی شعره نزعة إسماعيلية بارزة، فأساؤوا القول فی ملكهم بسية، فأشار عليه بالغيبة۔ فخرج إلى البلاد المغربية، فارتحل إلى الزاب إلى جعفر ويحيى إبنی علمی فأكرماه، ونمی خبره إلى المعز أبی تميم معدّ بن منصور الفاطمی فطلبه منها، فلما انتهى إليه وأقام عنده فی المنصورية بقرب القيروان، بالغ فی مدحه بغرر المدائح ونُخب الشعر۔ كما امتدح أيضاً جوهر الصقلی، الذی فتح مصر للمعز، وأبا الفرج محمد بن عمر الشيبانی۔ عاش ٣٦ أو ٤٢ سنة، وتوفی فی رجب ٣٦٢ھ۔

نموذج من شعره:

وقال فی المدح:

فحياضهم من كل مهجة خالع	وخيامهم من كل لبذة قسور
حیٌ من الأعراب إلا أنهم	يردون ماء الأمن غير مكدرَ (٦٤)

ابن سيدة (٦٥)

١٠٠٨م۔١٠٦٦م ٣٩٨ھ۔٤٥٨ھ

نشأته وحياته:

ولد ابن سيده فی مرسية، ونسب إليها كما أشرنا، وهی أعمال تدمير، فی شرق الأندلس، وكان ذلک فی سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة فی الهجرة۔

نشاء ابن سيده فی بيت علم ولغة، حيث كان أبوه من النحاة من أهل المعرفة والذكائ، وقد تعهد ابنه هذا بالرعاية والتعليم، وصقله صغيراً وشبعه بحب اللغة وعلومها، وإن العجب ليس فی أن أبيه هذا كان ضريراً، بل العجب كل العجب من أن الأبن أيضاً (ابن سيده) كان ضريراً مثل أبيه، فهو أعمى ابن اعمی، ولكنه ورغم عمی بصره۔ فقد كان نير القلب كأبيه، قدرزقه الله عوضاً عن فقدان بصره حافظة قوية وزهداً متوكداً، وذكائً حادا۔

نموذج من شعره:

قال ابن سيده يمدح إقبال الدولة ويستعطفه:

ألا هَل إلى تقبيل راحَتِک اليمنى	سبيل؟ فإنَّ الأمنَ فی ذاکَ واليمنا
فيا ملکَ الأملاکِ انّی مُحَلّا	عن الوِردِ لا عنهُ اذا ذُدتُ لا أُدنی
فَان تَتَاکّد فی دمَی لَکَ نيه	بِصدقٍ فإنی لا أُحِبُّ له حَقنا
إذا ميتة أرضَتکَ مِنّا فهاتها	حبيب إلينا ما رضِيتَ به عَنّا! (٦٦)

ابن حمديس (٦٧)

١٠٥٥م-١١٣٣م ٤٧٧هـ-٥٣٧هـ

نشأته وحياته:

ولد عبدالجبار بن حمديس بجزيرة صتعلية وعرف في بيته فقد حدائثه بمعالجة القريض، ولكن طل مجهول الذكر في أسواق الأدب فلايسير شعره ولا يعرف قدره- حتى استولى النرمنديون على وطنه وهو في معية الشباب، فراى بعيّنه وسمع بأذنه كيف سام الغاصب قومه سوء العذاب، وكيف جر على جلده شر الخراب، فها جر إلى إسبانيا، ونزل بإشبيلية يمتاح فضل المعتد بن عباد، فحجبه مدة لا يلتفت إليه ولا يعبأبه، حتى قال ابن حمديس: (قنطت لخيبتي مع فرط تعيي، وهممت بالنكوص على عقبي فإني لكذلك لليلة في الليالي في منزلي إذ بغلام معه شمعة ومركب، فقال لي: أجب السلطان! فركبت من فوري ودخلت عليه فأجلسني على مرتبة من فروالفنك، وقال لي افتح الطاق اللتي تليك، ففتحتها وإذا اكور من الزجاج على بعد والنار تلوح من بابيه، وواقده يفتحهما تارة ويسدهما أخرى، ثم أدام سد أحدهما وفتح الأخر، فحين فأملتها قال لي:

أجز: أنظرهما في الظلام قد نجما	فقلت: كمارنا في الدّجنة الأسد
فقال: يفتح عينيه چم يطبقها	فقلت: فعلَ امرىء في جفونه رمد (٦٨)

وفاته:

وكانت وفاة ابن حمديس في بجاية في رَمَضَان من سنة ٥٢٩ (تموز-يولو ١١٣٥م)

نموذج من شعره:

قال ابن حمديس يتذكرَ صقليَة ويصف الخمر والرقص من قصيدة مطلعها:

قضت في الصِبا النفسُ أوطارَها	وأبلغها الشَيبُ إنذارَها
وراهبةٍ أغلقت دَيرها	فكنّا مع اَلليلِ زُوارَها (٦٩)

وقال يصف الخمر في مطلع قصيدة في المديح:

قم هاتِها من كَفّ ذاتِ الوِشاح	فقد نعى الّليلَ بشيرُ الصباح
خَلّ الكَرى عنك وخُذ قهوةً	تُهدى إلى الرُوح نسيمَ ارتياح (٧٠)

(هوامش)

١ـ انظر في عباس بن فرناس: المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، لأبي حيان: (تحقيق د ـ مكي ـ طبع بيروت) ـ ص ٢٧٩، باريس: نشره الأب، ١٩٣٧م

٢ـ المقتبس: ص، ٣٣٩

٣ـ شوقي ضيف: الدول والأمارت الأندلس، ص ١٧٣ دار المعارف، ١٩٨٩م

٤ـ المصدر السابق: ص ١٧٣

٥ـ انظر في هذين البيتين والأبيات التالية ترجمة عبادة في الذخيرة: ج١، ص ٤٦٨ وما بعدها ـ

٦ـ انظر القصيدة في ترجمة ابن الحناط بالذخيرة ج١، ص ٤٣٧

٧ـ طريرا: رواء ومهجة

٨ـ ديوان ابن زيدون ومعه رسائله (تحقيق محمد سيد كيلاني)، ص ٦٠ـ والمغرب: ج١، ص ٦٩٠

٩ـ الذخيرة: ج٣، ص ٢٨٧

١٠ـ الخافقان: المشرق والمغرب، الخفقان سرعة نبضات القلب

١١ـ الذخيرة: ج٢، ص ٢٤٥، وابن هبون في شعراء المعتمد بن عباد وسنفرد له ترجمة في الفصل الثاني

١٢ـ الديوان، تحقيق د: السيد مصطفى غازي: ص ٢٥ وما بعدها

١٣ـ الديوان: ص ٩٧ـ٩٨

١٤ـ انظر الأبيات في ترجمة بالمغرب، ج١، ص ٢٤٧

١٥ـ المغرب: ج٢، ص: ٢٦٨ـ وسنفرد له ترجمة في الفصل التالي بين الهجائين ـ

١٦ـ البيتان في ترجمة بالذخيرة: ج٢، ص ٨١١

١٧ـ انظر ترجمة أبي عامر في النفح: ج٣، ص ١٣ـ١٤

وقد دعاة أبا الحسين علي بن الحمارة ـ وراجع ترجمة في المغرب: ج٢، ص ١٢٠ـ وفي البغية: ص ٥١٧

١٨ـ ابن خلكان: ج٢، ص ٢٠٤

١٩ـ حفيظة: حمية، ليث فخدر: أسد في حدره وغيلة

٢٠ـ صوب: مطر الكوثر: نهر في الفردوس

٢١ـ انظر مدحته في المغرب: ج٢، ص ١٦٤ وسنخصه بكلمة في الفصل التالي

٢٢ـ القصيدة بتمامها في المعجب: ص ٣٧٠ وما بعدها

٢٣ـ المغرب: ج٢، ص ١٥٩

٢٤ـ ترجمة ابن سماك العاملي في الكتيبة الكامنة: ص ١٩٨

٢٥ـ هذه العقيدة في ترجمة ابن جزي الضافية في أزهار الرياض: ج٣، ص ١٨٩

وترجم له ابن الأحمر اسماعيل بن يوسف في كتابه نثير فرائد

٢٦ـ العوالي: الرماح

٢٧ـ ديوان ابن فركون: بتحقيق د: محمد بن شريفة طبع أكاديمية المملكة الغربية: ص ١٠٣

٢٨ـ انظر في ترجمة ابن عبدربه وأشعاره الحميدي ٩٤ ابن الفرضي، ج١ ص: ٤٩

والبغية: رقم ٣٢٧ـ واليتيمة للثعابي (طبعة محيي الدين عبد الحميد) ج٢٢، ص: ٥أ٠١ـ٨٤ـ٩٩

٢٩ـ احسان عباس، تاريخ الادب الأندلسي، ص: ٣٢٥

٣٠ـ انيس المقدسي، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ص: ١٨٥ دار العلم للملايين، بيروت: بدون عام الطبع
٣١ـ المصدر السابق، ص: ١٨٩
٣٢ـ المصدر السابق، ص: ١٨٩
٣٣ـ شوقي ضيف: الدول والإمارات في عصر الأندلس، ص: ١٨٩
٣٤ـ انظر ترجمة في: جذوة المقتبس، ص: ١٣٠ـ٣١، وقلائد العقيان: ص ٧٩، والمغرب في حلى المغرب: ج١، ص: ٢٣ـ٢٩
٣٥ـ أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي ص: ٢٤٠
٣٦ـ انظر في ابن زيدون كتاباً عنه في سلسلة نوابغ الفكر العربي طبع دار المعارف
٣٧ـ وفيات الاعيان، ج١، ص ٤٤
٣٨ـ الذخيرة، ج١، ص ٢٩٠، ووفيات الأعيان ـ أحمد حسن الزيات: ج١، ص ٢٤٠
٣٩ـ الذخيرة: ج١، ص ٢٧٦
٤٠ـ يشير إلى قول المتنبي: انا الذي نظر الأعمى إليل أدبي واسمعت كلماتي من به صمم
٤١ـ هذا المثل مقتبس من بيت لعدي بن ربا العبادي
٤٢ـ مثل قديم ـ والحين: الموت
٤٣ـ أحمد حسن الزيات: تاريخ الادب العربي: ص ٢٤٣
٤٤ـ المصدر السابق: ص ٢٤٢ـ٢٤٣
٤٥ـ تزلف: تقدم وتصبح ومنزلة
الدكتور شوقي ضيف: عصر الدول والأمارات في الأندلس، ص، ١٧٧
٤٦ـ الذخيرة: ج٤، ٣٢٠ـ٣٤٢
ديوان ابن خفاجة، مصر مطبعة جميعة المعارف ١٣٢٨٦ه (نشره كرم بستاني) بيروت دار صادر ١٩٥١
٤٧ـ شقر بالغم (وفيات الاعيان، ج١، ص ٥٧) وبالفتح تاج العروس: الكويت: ج١٢، ص ٢٢٢
٤٨ـ انظر في ابن خفاجة وترجمة وشعره الذخيرة: ج٣، ص ٥٤١
شوقي ضيف: عصر الدول والأمارات: ص ٣١٧
٤٩ـ وصفه جزيرة الأندلس: ص ١٠٣
٥٠ـ شوقي ضيف: الدؤل والأمارات: ص ٣١٩
٥١ـ أخلاف: جمع خلف بكسر الخاء: حلمة
٥٢ـ ريا: طيب الرائحة: ديوان ابن حمديس الأزدي السيراكوسي نشره مونكادا، بالرمو ١٨٩٣
٥٣ـ ومع ذلك فهم شجعان (لو أرادوا)
تخب (تسير بسرعة) بهم قب (خيل منامرة البطن) يطيل صهيلها: صوتها (وجودها في المعارك) فياح النوادب (نواح النادبات اللواتي يبكين القتلى من أهلهن كناية عن الانتصار في ارض العدو)
٥٤ـ الديوان، تحقيق د ـ سيد مصطفى غازي: ص ٢٥
٥٥ـ الديوان: ص ٩٨ـ٩٨
٥٦ـ انظر الأبيات في ترجمه بالمغرب: ج١، ص ٢٤٧
٥٧ـ شوقي ضيف الدول والأمارات، ص ٢٣٠
٥٨ـ ديوان ابن درّاج القسطلي (حققه محمود علي مكي) دمشق (المكتب الاسلامي) الطبعة الاولى، ١٣٨١ه ـ ١٩٦١م، الطبعة الثانية

١٣٨٩ھ
٥٩ـ شوقي ضيف: الاول والأمارات، ص ١٩١
٦٠ـ مبغوم الندائ: رقيقه ولينه
٦١ـ ذمار الملك: ماينبغي حياطه ودفاع عنه
٦٢ـ شوقي ضيف: الدول والأمارات، ص ١٧٥
٦٣ـ انظر ترجمة في: جذوة المقتبس: ص ٨٩ـ٩٠
ديوان ابن هانى الأندلسى المطبعة لبنانية بيروت (لبنان) ١٨٨٦ئ
http://ar.wikipedia.org/wiki%D8%
المزايا الجديدة htmابن_هانى G://file:
٦٤ـ تاريخ الادب العربي: أحمد حسن الزيات، ص ٢٣٩
٦٥ـ الصفدى: نكث الهميان في نكت العميان
٦٦ـ المقرى: ص ٢٠٤ـ٢٠٥
المقرى: نفح الطيب من غص الأندلس الرطيب
المخصص لابن سيدة، تأليف محمد الطالبى، تونس المخصص، بولاق (المطبعة الكبرئ الأميرية) ١٣١٦ـ١٣٢١ھ
المحكم والمحيط الأعظم في اللغة (تحقيق مصطفى السقا وحسين نصار وغيرهما)ـ (جامعة الدول العربية_ معهد المخطوطات) القاهرة (مصطفى البابى الحلبى) ١٩٥٨ـ١٩٦٨م
٦٧ـ ديوان ابن حمديس الأزدى السيراكوسى (نشره مونكادا)، بالرمو ١٨٩٣؛
ديوان ابن حمديس (وقف على تصحيحه سكيا باريللى)، رومية ١٨٩٧
صححه إحسان عباس، بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٦٠م
الوطنية في شعر ابن حمديس، تأليف زين العابدين السنوسى، تونس (دار المغرب العربى) ١٩٥٢م
٦٨ـ تاريخ الادب العربي: أحمد حسن زيات: ص ٢٤٤ـ٢٤٥
٦٩ـ ترجمة ابن حمديس الصقلى، تأليف زين العابدين السنوسى تونس ١٩٥٢م
ابن حمديس الصيقلى، تأليف على مصطفى المعراتى، القاهرة (في سلسلة اقرأ_ دار المعارف) ١٩٦٣م
٧٠ـ تاريخ الأدب العربي: الدكتور عمر فروخ: ج٤، ص: ٢٠١ـ٢٠٤